أسرار للنشر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

omarghazi.com

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

أسرار للنشر

حتى لا تضيّع وقتك في تجارب الحياة

عمر غازى

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

إهداء

إلى أمي الغالية «سميرة عبدالعزيز»، منبع الحنان،

والحب، والعطاء.. أهدي هذا الكتاب.

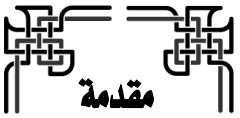

الحياة ما هي إلا مجموعة من التجارب، ولأنها عمرٌ واحد، وحياة واحدة، فمن الجنون أن ندع الحياة لتجربتنا الشخصية وحدها، وما ذاك إلا لأن استكشاف الحياة عبر التجربة يأخذ وقتًا طويلاً ومضنيًا، وقد ينقضي العمر أو يوشك على الانقضاء، ونحن نجرب لنصل لنتيجةٍ كان من السهل الوصول إليها لو تمعنا في تجارب الآخرين حولها ودرسناها وحللناها على النحو الذي لا يغفل خصوصية كل تجربة شخصية، فنحن أيضا لسنا نسخًا مكررة من الآخرين.

ولأن الكتاب يضفي عمرًا جديدًا لقارئه، رأيت أن أسجل هذه التجارب والتأملات والخلاصات الفكرية والحياتية على بساطتها في هذا الكتاب، لكي تسهم ولو باليسير في اختصار دقائق وساعات وربما أيام من حياة آخرين، وخصوصا أنني أخذت وقتًا ليس باليسير للوصول إلى بعض منها كوني في عنفوان مراهقتي وشبابي لم أكن أقنع بالنصح أو تبادل

الخبرات وإنما بالتجربة، والتجربة وحدها، ولأن للتجربة ثمن، وأغلى الأثمان هو ضياع الوقت على أمر لا يستحق كل هذا العناء أدعوك أخي القارئ لمشاركتي هذه الأسرار غير الخافية.

عمر غازي

سبتمبر ٢٠٢٠

Omarghazi85@yahoo.com

***

الفصل الأول: هموم حياتية

أسرار.. لن يخبرك بها أحد غيري!

العشم.. سبب لكل بؤس.

***

الغيور، والحقود، والمتشائم، والمتطلب، لن يعرف طعم السعادة.

***

الوظيفة ليست طموح الناجحين.. والأعمال التجارية لا تتطلب رؤوس أموال دائما!

***

عندما تقول لك امرأة أن هذا الأمر صدفة.. صدقها في المرة الأولى، وعندما تتكرر الصدف تظاهر بالتصديق!

***

لا يوجد (مهنيـًا) تخصصات قمة.. تستطيع أن تصل إلى القمة من القمامة إن أردت ذلك.. فقط كن شغوفـًا بما تعمل.

***

لا يوجد شيء اسمه حظ.. ولكن يوجد أناس يجيدون انتهاز الفرص، كن دائمـًا في الموعد.

***

لا تخشى الخسارة والفشل.. اخسر وافشل، ولكن لا تسمح بإستمرارهما إذا أردت أن تكون غنيـًا أو ناجحـًا.

***

احلم.. فجميع النجاحات الكبيرة بدأت بحلم أقرب إلى الجنون، هل قرأت قصة عباس بن فرناس؟

***

ما لا تستطيع اتخاذ قرار فيه لا تفكر فيه، ارفع شعار «اركن على الرف»، واجعله مشروعا مؤجلاً لحين، وستفاجئ بالحل!

***

٩٠٪ من الناس يحصلون على وظائفهم من خلال العلاقات والمصالح، لا من خلال مواقع التوظيف والإعلانات، اعمل على تقوية شبكة علاقاتك وأحسن فن تسويق ذاتك.

***

الخبرة ليست بالسن ولا بعدد سنوات الممارسة، فمعظم الناس يكتسبون مهارة ما يتعلمونه في بداية التحاقهم بالعمل ثم يكررون نفس الشيء لأعوام وأعوام دون أن يطوروا ممارستهم أو يقيمونها أو يواكبون أفضل الممارسات فيها.

***

إذا خشيت أن يُغضب رأيك الآخرين، فثق تمامًا أنك لا تمتلك رأيًا!

صاحب الرأي يدافع عن فكرته، وربما يقاتل من أجلها.

***

إذا أردت أن تعيش حياة بائسة.. فقط «عامل الناس بالحسنى وانتظر أن يعاملوك بمثلها!»

***

لا تستهن بالخبرة!

نعم كنت مثلك شابًا معتدًا برأيه، واستمتعت بخوض تجربتي بنفسي، وضربت الحائط بكل أو معظم ما وجه لي من نصح، لكنني عندما نضجت أدركت سذاجة رفضي في كثير من الأمور!

***

كن أنت تكن مختلفاً

لا يروق لي الذين اختاروا أن تكون حياتهم نسخًا مكررة من الآخرين.

***

يجذبني من اختار أن يكون ما شاء أن يكون، دون الالتفات للناس وكلامهم وأفعالهم، وماذا سيقولون له وعنه ولغيره.

***

استمع لكلام الناس، واتبع ما تميل إليه نفسك، فأنت من تعيش قصتك لا غيرك!

***

عقد المقارنات بينك وبين الآخرين أو بين الأشخاص بعضهم البعض، يجعلك دائماً في حلقة مفرغة، تذكر دائماً أن الإنسان ابن تجربته، ولكلٍ مزاياه وعيوبه، ولا يمكن أن نكون نسخًا متكررة من بعض، فتمتع بالمذاق الأسطوري لتفردك!

***

تعثر..

وانهض..

خير من ألا تنهض مخافة أن تتعثر.

***

لا تبحث عن الاختلاف..

فقط احرص على أن تشبه نفسك، وستكون مختلفاً!

***

بعض التفكير مرض

آفة هذا العصر هو التفكير الدائم حتى في أتفه الأمور، وربما يعود ذلك لغلبة الحياة المادية على حياة الناس وسلوكها واهتماماتها.

***

والتفكير داءٌ مميت، قد يفضي بصاحبه إلى الجنون، وأقل شروره الاكتئاب واليأس والسخط والبؤس.

***

بدلاً من التفكير في المستقبل المظلم، أو التفكير في الأسوأ، تذكر أن كل شيء سيمر فكرت أم لم تفكر.

***

ضع نصب عينيك دائماً أنه مهما خططت وتأملت فأنت لا تضمن النتائج، لأنه لا يمكنك التحكم والتنبؤ بكل ما هو قادم.

***

دائمـًا أجعل تركيزك في الخطوة القادمة، واستعدادك لما بعد القادمة، واجعل ثقتك فيما بعد ذلك ثقة من يصعد الدرج من أسفله وتركيزه على درجات السلم حتى لا يتعثر.

***

الأجمل لم يأت بعد، والأسوأ لن يستمر مهما طال الليل.

***

رعاية الذات

فضلت التعبير بهذا المصطلح عوضاً عن الأنانية الحميدة، باعتبار أنه (لا مشاحة في الاصطلاح)، مادام المعنى واحداً ومتفقاً عليه.

***

من المهم الإيمان بحقيقة أن تقديم رغبات الآخرين، واهتماماتهم، ومصالحهم وإيثارهم على الذات بشكل دائم على المدى المتوسط والبعيد سيؤدي إلى أزمات نفسية عميقة، إذ في الغالب سينتظر نفس الشيء من الآخرين ولن يجده.

***

إذا أحب الإنسان ذاته ورعاها حق رعايتها، تحقق لديه السلام الداخلي، الذي يمكنه من أن يكون شخصاً سوياً، وبالتالي سينعكس ذلك على ثقته بنفسه، مما يؤهله إلى أن يمنح الآخرين نفس المشاعر بكفاءة عالية، على عكس من لم يتحقق لديه مبدأ رعاية الذات، ففاقد الشيء لا يعطيه.

***

من المهم جداً أن يكون لدى الإنسان قناعة تفيد بقدرته على الاستقلال بذاته، ومقدرته على الحصول على القدر الكافي من السعادة دون الحاجة للآخرين أن يمنحوها له، دون أن يكون ذلك دافعـًا للاستعلاء على الناس أو تجنبهم.

***

لا تكن مبادرًا على الدوام، أحيانا تحتاج إلى أن تكون ردة فعل، فالحب عطاء متبادل.

***

كيف تكون قويّ الشخصية؟

قبل أن أجيب على السؤال السابق، يحسن بنا أن نوضح ما هو المقصود بمصطلح قوة الشخصية، أو الشخصية القوية، وأعني بها باختصار «الشخص القادر على اتخاذ القرارات، وأخذ المواقف، ومعرفة قدر نفسه دون التأثر بالآخرين، بالإضافة إلى القدرة على إنجاز الأعمال دون الاتكال على الآخرين».

***

ولكي يتحقق هذا المفهوم لا بد من التخلي التام عن هذه الصفات

١-العشم.

٢-التردد.

٣-التسويف.

٤-الاتكالية.

٥-الحساسية الزائدة من كلام الآخرين.

٦-الإحباط.

***

وقبل هذا كله يتوجب عليك أن تعرف أن قوة الشخصية لا تعني:

١- القسوة.

٢- العنف.

٣- عدم المرونة.

٤- التعالي والتكبر.

***

وحتى تكن صاحب شخصية قوية عليك أن تتحلى بالتالي:

١- الثبات الانفعالي.

٢- الحسم.

٣- الاتزان النفسي.

٤- التوازن في القرارات.

٥- عدم التسرع.

٦- الشجاعة في الاعتراف بالخطأ.

٧- التعلم من أخطاء الماضي.

٨- الثقة في النفس.

***

خلاصة القول أن هذا السؤال كيف تكون قويّ الشخصية؟ قد يبدو في مضمونه بالغ التعقيد، وإجابته ربما تبدو في غاية البساطة، وبين هذا وذاك تبقى الثقة في النفس، والقدرة على الحسم، والتعلم من دروس الحياة، والشجاعة في الاعتراف بالخطأ، العامل الأهم في الوصول إلى الإجابة النموذجية فعلاً وممارسةً.

***

لغز السعادة

تبدو السعادة وكأنها لغز يصعب حله، فهي نظرياً عملية سهلة ولكنها بالغة التعقيد، وعملياً هي مستحيلة ولكنها شديدة السهولة.

***

هذه ليست طلاسم أو هرطقات، فسهولة الوصول للسعادة تكمن في نفس سبب استحالتها، وهو أنها ليست نمطاً واحداً، وليس لها قاعدة ثابتة، ولا يمكن قولبتها.

***

يمكن عزو سبب تعقيد فهم مصطلح السعادة، في الخلط بينها وبين جودة الحياة، أو ربطها به.

***

تتجسد إشكالية فهم السعادة في صورتين:

الأولى: استغراب البعض من تعاسة من يتمتعون بجودة الحياة.

الثانية: استغراب المتمتعين بجودة الحياة من سعادة البسطاء المعدمين.

***

من هنا يبدو حل لغز السعادة سهلاً وبسيطًا، وهو أن جودة الحياة ليست مقياسًا للسعادة، وأن ترمومتر السعادة هو الرضا والسلام النفسي.

***

أمّا كيف يتحقق الرضا؟

فتلك مسألة أخرى!

***

مفاتيح النجاح

النجاح ليس نمطًا واحداً والوصول إليه ليس بوصفة، أو كتالوج مسبق الإعداد، وإحراز النجاح في وقت ما أسهل من الاستمرار عليه، وتنميته باستمرار.

***

للناجحين سمات عديدة تميزهم عن سواهم:

١- الإصرار والصبر «سياسة النفس الطويل» فمن رحم الفشل يولد النجاح والفاشل هو من يستسلم لا من يتعثر وينهض.

٢- الثقة

الثقة في بلوغ الأهداف هي مفتاح تحقيق الأهداف في النهاية فمن لا يؤمن بنجاحه لن يستطيع حصد ثماره.

٣- التعلم المستمر

من أهم الأمور في رحلة البحث عن النجاح هو التعلم المستمر من الرحلة نفسها ومراجعة الخطوات والوسائل والتمتع بالمرونة الكافية للتعديل والتغيير والتصويب.

٤- الطموح المتصاعد

جميلٌ أن تكون حالمـًا، فجميع النجاحات الكبيرة كانت حلمـًا أقرب إلى الجنون، ولعلك تذكر قصة عباس بن فرناس الذي حاول الطيران، فوصف بالجنون والانتحار، ولكن تجربته كانت كلمة السر للتقدم الذي نحن عليه اليوم في هذا المجال، ولكن لا تدع الأحلام تغرقك! فاجعل أحلامك الكبرى نهاية سلم النجاح واصعد السلم درجة تلو الأخرى وفي كل مرة اجعل طموحك الدرجة التالية حتى لا تتعثر.

٥- الشغف

سر خطير من أسباب النجاح، وهو أقصى درجات الحب وأقواها، كن شغوفـًا بما تعمل ستحقق كل ما ترنو إليه فمن لديه شغف القراءة لن يتوقف عن مطاردة الكتب، ومن لديه شغف العمل لن يقنع سوى بالتطور الدائم.

٦- ركز على نجاحك

لا تنشغل بالآخرين، وتترك لقلبك وعقلك العنان، في المخاوف والأحقاد والضغائن، أو الدخول في صراعات وملهيات جانبية، دائما ركز على أهدافك، وعلى طموحاتك.

***

القناعة والطموح

القناعة قيمة عظيمة، والطموح كذلك، ولكن هل يتعارضان؟!

قد يبدوان على النقيض وقد يلتبس على البعض معرفة الحد الفاصل بينهما، ولكنهما في الحقيقة ليسا نقيضين.

***

القناعة تعني الرضا، وعدم السخط والكف عن الشكوى والتذمر، أما الطموح فيعني التطلع للأفضل مع الجد والاجتهاد والسعي واتخاذ الأسباب وعدم الركون للأوهام والأحقاد.

***

اقنع، ولا تتوقف عن السعي لتحقيق طموحاتك، وأطمح، ولا تتعجل ما في أيدي الآخرين من نعم.

***

القنوع يحمد ولا يحسد ولا يسخط، والطموح يجد ويجتهد ويصبر ولا ييأس.

***

إذا بذلت قصارى جهدك ولم تحقق كل ما تطمح إليه، فاقنع به.

فالقناعة نصف السعادة، والجد والاجتهاد نصفها الآخر.

***

عدم القناعة يولد الحقد والحسد، والحقد والحسد يؤدي إلى اليأس والبؤس، ويقتل الطموح، ويجعل صاحبه مشوهـًا نفسيـًا وبالتالي غير قادر على العطاء والعمل.

***

كن قنوعـًا حد الرضا، وطموحـًا حد السماء، تعش حياةً أنبل وأنقى وأنجح وأكثر سعة واطمئنانـًا.

***

لا تكن مرتزقة

يطلق مصطلح مرتزقة على الذين ينضمون لجيوش أجنبية أو نزاعات مسلحة لا ناقة لهم فيها ولا جمل بهدف الحصول على المال فقط، ويمتد هذا المصطلح لينسحب على كل من يهدف إلى كسب المال من خلال أي عمل دون أي اعتباراتٍ أخرى.

***

جميعنا يعمل من أجل كسب المال، هذه حقيقة، ولكن هل الهدف الوحيد من العمل هو كسب المال فقط؟

إذا أجبت بنعم، فأنت بحاجة إلى مراجعة نفسك.

***

قد نقبل أحيانًا بأعمال لا ترضي طموحاتنا، لحاجاتنا إلى المال، وهذا ليس عيبًا، ولكن ما ينبغي مراعاته هو:

١-المال ليس هو الهدف الأوحد من العمل، حتى ولو كان الهدف الأول.

٢-في أي عمل نُقبل عليه لابد وأن يكون من أولويات أهدافنا (الإتقان).

٣-لا تربط عطائك وتفانيك في عملك برضاك عنه أو عن الأجر، فالسلوك تراكمي، وتعاطيك مع العمل بهذا المنطق لن يفارقك.

٤-اجعل المعيار الذي تحكم به على طبيعة الأعمال التي تقبلها هو مدى احترامك لذاتك.

***

كيف تختار وظيفتك ومهنتك؟

من القضايا الشائكة في عالمنا العربي على وجه التحديد هي قضية تحديد المسار الوظيفي أو المهني، وتزداد هذه المعضلة تحديداً في مصر، مع أكذوبة ما يسمى بكليات القمة، حتى أضحى الموضوع متلازمة نفسية لدى الأهالي، من أجل أوهام سيطرت عليهم يتسلطون على أبناءهم، للدخول إلى كليات بعينها ككلية الطب أو الهندسة على غير ميولهم التي قد تكون ميولاً أدبية، فأضحى المجموع النهائي لمخرجات الثانوية العامة شيئا من قبيل الوجاهة الاجتماعية، وللتنمر على الآخرين، ولممارسة العنف النفسي على الأبناء، إلى الحد الذي تركت معه هذه الممارسات تشوهات نفسية واجتماعية لا تنتهي، وربما لآخر يوم من حياة ذلك المراهق البائس الذي وجد بين أبوين محدودي التفكير، ولآخر يوم في حياته عندما يضطر للاستمرار في أداء عمل يبغضه، حتى ولو كان عملاً مرموقًا في نظر المجتمع، ويمكن تلخيص أهم العوامل التي تتحكم في تحديد المسار الوظيفي والمهني في الآتي:

- رغبة الأهل، وتسلطهم في اختيار المسار الدراسي لأبنائهم، بما لا يعكس ميولهم، وقدراتهم.

- عدم القدرة على دراسة التخصص المرغوب سواء لعدم الحصول على مجموع دراسي يؤهل لذلك، أو عدم امتلاك المال اللازم لدراسة التخصص.

- دراسة تخصص ليس لديك شغف نحوه للوجاهة الاجتماعية، أو بسبب العوائد المالية الأفضل عند التخرج.

- تقليد الآخرين، وعدم اكتشاف الشغف الشخصي، وفهم الوظيفة بمفهوم الاسترزاق فحسب.

- فقدان الشغف والاستسلام للإحباط، ومتاعب الحياة، وملهياتها.

ومن المهم جداً التنبيه على عدد من الأمور، التي هي بمثابة قواعد ذهبية لا غنى عنها، ومهما تجاهلها الإنسان أو جهلها، سيدركها بالخبرة والممارسة، وتوالي الأيام، والسنوات، ولكن ربما قد يكون فات الأوان وهي:

(١) لا تكن مجرد رقم

ولذا فأهم نصيحة هي أن تبحث عن المجال الذي تنجح فيه، وتحقق ذاتك، فعندما تكون تاجرا يشار له بالبنان، أفضل من مجرد طبيب بلا شغف من ملايين الأطباء الذين يمارسون هذه المهمة.

(٢) ابحث عن شغفك

من الأخطاء الشائعة بشأن الشغف هو أننا نظن أنه يأتي بشكل سابقٍ للممارسة وهذا اعتقاد خاطئ فالشغف قد نكتشفه وقد نصنعه، فلا توقف الحياة لشغف تعجز عن ملاحقته بل اصنع شغفك من الفرص التي تستطيع اقتناصها!

(٣) كن مرنا

وهذه المرونة واحدة من أسرار النجاحين، ويقصد بها القدرة على التكيف مع المعطيات، فكثير من المدرسين والأطباء والصحفيين وغيرهم من الصناع والمهنيين والتجار، لم يستطيعوا مواكبة متغيرات سوق العمل، ولم يبذلوا الجهد لتطويع قدراتهم مع المهارات الجديدة، ففاتهم قطار التفوق وبقوا داخل قوقعتهم يبكون على اللبن المسكون، ويلعنون حظهم العاثر، ولذلك لا تكن جامدًا في نظرتك عجولاً في وصولك إلى الراحة المهنية.

(٤) رحب بالمنافسة

الناجحون دائما تجدهم يرحبون بالمنافسة ولا يخشونها، لأنها تثير لديهم الحافز، وتزيد من الدافع، فتذكي لديهم روح المثابرة والاجتهاد، فيستميتون لإبراز مواهبهم، وقدراتهم، لأنهم يدركون أن منافستهم مع أقرانهم من أصحاب الكفاءة، فرصة لا تعوض لتفجير الطاقات، وقياس

النجاح، وإظهار الإبداع، أما الفاشلون فيخشون المنافسة وتربكهم وتظهر أحقاد قلوبهم، وأسوأ ما فيهم ويميلون للمكايد والطرق غير المشروعة لإفشال منافسهم أو تحييده من طريقهم.

ولذا فإن أسهل وأفضل نصيحة توجه لمن يرغب أن يكون ناجحًا هو أن يؤمن بالمنافسة الشريفة، بل ويسعى لها، لأنها بمثابة وقود لا ينضب، وحافز لا يقدر بثمن، والناجح أيضا يؤمن بمفهوم الوفرة لا الندرة، فلا يخشى من منافسة الآخرين له أن يؤثر ذلك على رزقه أو ماله أو منصبه، فلكل إنسان ما يميزه، ولكل طاقته، وسوق العمل والتجارة لا يضيق بالناجحين، ولا يكتفي منهم ومن نجاحهم.

(٥) اقتنص الفرص

من الفروقات المهمة بين الإنسان الناجح وغيره، هو القدرة على اقتناص الفرص، ففي الوقت الذي ينتظر فيه البعض أن يبتسم لهم الحظ، أو يوسمون الآخرين بأنهم محظوظون، يستطيع الناجحون تمييز الفرص السانحة لهم، ويقدرون على اتخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب مع ما فيه من مخاطرة أو مغامرة، لأنهم يدركون أن الركون إلى الطرق الأسهل والأكثر أمانا، لا تقفز بصاحبها إلى قمم النجاح، وإنما تجعله في منطقة آمنة تبعده عن الفقر والغنى وعن النجاح والفشل على حد سواء، وأيضا لا تجعل نفسك أسيرا لتخصصك الدراسي، أو العلمي، أو تخصصك المهني الذي بدأت فيه مسارك العملي، كن مرنًا بالقدر الذي

يجعلك تستطيع اقتناص الفرصة المواتية، وتعديل ما يلزم لشق مسار جديد من النجاح.

(٦) ضع لنفسك أهدافا متجددة

العمل دون أهداف محددة وواضحة، هو أشبه بمن يقود سيارته على غير هدى، ودون معرفته للطريق أو الوجهة، وربما يقطع مسافات كبيرة ويمضي أوقاتًا طويلة في السير، ولا يبرح المنطقة التي بدأ منها فهو يدور حولها لافتقاره للرؤية والهدف، وهذا الذي يحدث غالبًا مع كل شخص يلج إلى سوق العمل دون أهداف واضحة، فتجده يتخبط أو لا يبرح مكانه، أو يتراجع كلما تقدم، ولذا فإن من أهم النصائح التي تسدى إلى أي شخص مقبل على حياة عملية جديدة هي «اعرف ماذا تريد الآن، وحدد لنفسك ما تهدف إليه بنهاية العام، وارسم لنفسك خطًا لمستقبلك بعد ٥ سنوات على الأقل».

(٧) تعلم من مدرسة الحياة

الحياة مدرسة بل جامعة حقيقية لا تنضب دروسها ولا تتوقف، والإنسان الناجح هو الذي يتعلم منها، وليس بالضرورة أن يتعلم من أخطائه كما هو شائع لدى الناس، بل الصواب أن يتعلم من أخطاء من حوله ليتجنب الوقوع في الخطأ.

(٨) قيم نفسك باستمرار

التقييم المستمر بمثابة شحن لبطارية النشاط والأمل والطموح، فلا تهمله في غمرة النجاح أو الفشل، واجعل لنفسك من وقت إلى آخر جلسة متعمقة تتأمل فيها أهدافك المنقضية والحالية والقادمة، ومدى تعاطيك ونجاحك في تحقيقها.

وختامًا: لا تحتقر أي مهنة أو وظيفة، وثق تماماً أن الإنسان الناجح يستطيع أن يصنع نجاحه في أي تخصص، فالنجاح ليس حكرًا على مهنة بعينها، أو تخصص دون غيره، فقط اتبع شغفك، أو اصنعه لا يهم، المهم أن تبحث عن متعتك في أداء مهامك، أو تتعلم أن تجد هذه المتعة، بالإتقان، والصبر، والتنافس الشريف، والخبرات المتراكمة.

***

حول الدخل الوفير والتقدير المالي

لماذا أدرس وأجتهد وأتعب في تحصيل العلم واكتساب المعرفة وزيادة الحصيلة الثقافية، وفي النهاية لا أجد ثمناً لذلك؟

لماذا مهما بلغت من الاجتهاد والمكانة المهنية الجيدة أو المرموقة، يأتي آخر لا يحمل هذه المؤهلات والإمكانيات، ويحصل على الثروة والشهرة والتقدير؟

لماذا أصحاب العلم والمعرفة والثقافة العالية لا يتحصلون على التقدير المادي اللائق بهم؟

لماذا أجتهد وأصبر وأقاسي الأمرّين، وأعاني في حياتي لأصل، وتستمر معاناتي إلى ما لا نهاية؟

لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟ عشرات الأسئلة على هذا المنوال أسمعها من حولي بشكل مستمر خصوصا على صفحات التواصل الإجتماعي، من زملاء وأصدقاء وأقارب ومعارف ساخطون على وضعهم المهني أو المادي أو حظهم في العيش الكريم مقابل ما يرونه ويشاهدونه من فرص لا محدودة لأناس ضعيفي التحصيل العلمي وقليلو الثقافة من لاعبي الكرة أو مطربي المهرجانات، والراقصات، وغيرهم.

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات يجدر بنا الوقوف سويـًا على الأسباب التي تؤدي إلى زيادة المردود المادي وتفرق صنعة أو حرفة أو وظيفة عن غيرها:

١-العرض والطلب

يتحكم العرض والطلب، وبمعنى أدق الندرة والتشبع في زيادة أو نقص المردود المادي، ولكن تذكر دائما أنك قادر على التميز، والتميز دائمـًا وأبدا له ثمنه، فلو كان هناك ألف طبيب عادي في تخصصٍ ما فإن هناك أحد ما قادر على البروز والتفوق عليهم.

٢-بناء السمعة

لا يمكن أن تحصل على المال الوفير، مقارنة بالمنافسين الآخرين لك في أي مجال من مجالات الحياة، دون بناء السمعة الجيدة، وإذا كان هذا الكلام نراه فعلا مع المؤسسات والشركات والجهات الاعتبارية، فإنه أيضا ينسحب على الأفراد في أي مجال من المجالات، ولذلك نجد ما يميز الطامحين في الثراء أو زيادة الدخل هو الاستثمار في أنفسهم، والتعامل معها كماركة (براند) من الناحية التسويقية وبناء العلامة التجارية، وقبل ذلك بناء السمعة.

٣-استثمار الفرص

الحياة ما هيا إلا فرص، والفرص قد لا تتكرر، وقد لا تأتي سوى مرة واحدة في الحياة، وفي حياتنا جميعًا فرص، أغلبنا يتندم على ضياعها، ويتحسر على عدم استغلالها أو الاستهتار في مواجهتها، وقليل منا من امتلك المهارة اللازمة، للتعامل مع الفرصة في حينها، بالشكل الأمثل، وربما تقول أنك لم تسنح لك الفرصة بعد وهذا صحيح، ولذا كن على استعداد لاصطيادها متى ما ظهرت لك، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة مواهبك ومهاراتك الدفينة، ونقاط قوتك، وأهدافك التي تسعى إليها، وأبعاد النجاح الذي تصبو إليه.

٤-الذكاء المهني

وهذا الذكاء قد يكون فطرياً، عند البعض، لكنه أيضا يمكن اكتسابه وتنميته، وكثير من الناس فقدوا فرصا عظيمة في حياتهم كان بإمكانها تغيير مسارهم الوظيفي والمهني بالكامل لافتقادهم لهذه المهارات، كل ما عليك هو تعلم هذه المهارات وجعلها منهج حياة وأبرزها:

- التحكم في التصرفات والانفعالات، والصبر والمثابرة.
- إجادة العمل الجماعي، والقدرة على تقمص دور القائد.
- الاعتراف بالأخطاء، والعمل على معرفة أسبابها وتلافيها مستقبلاً.

- تفهم الجميع في بيئة العمل، والقدرة على التعامل مع كل شخص بطريقة تناسبه وتختلف عن الآخرين.
- القدرة على احتواء الآخرين عند حدوث الأزمات والمشاكل.
- القدرة على القيام بمهام إضافية، ومتنوعة تميزه عن الموظف العادي التقليدي الذي لا يطور من نفسه ولا من إمكانياته وأدواته.
- القدرة على القيام بعدة أنشطة في وقت واحدة.

٥-المرونة والقدرة على تصحيح المسار

إن أكبر الأخطاء التي نرتكبها في حياتنا عمومًا، وفي حياتنا المهنية والوظيفية على وجه الخصوص، افتقار المرونة، والقدرة على تصحيح المسار الخاطئ، أو غير المجدي، وكثيرًا ما تكون الحجة أننا تعبنا كثيرا للوصول إلى هذه النقطة ولا يمكن التضحية بكل هذا المجهود، مع يقيننا بعد وجود بارقة أمل في الاستمرار، ولذا فإن الموفق دائما هو من يستطيع مواجهة هذه المشكلة الجسيمة بشجاعة، وربما بكثير من روح المغامرة والتحدي، لإعادة تصحيح المسار والانتقال إلى ما هو أنفع له مهنيـًا، فليس معنى أنك طبيب درست الطب سبع سنوات ومارسته مثلها ولم تجد نفسك فيه، أن تستمر فيه وتدفن مواهبك وأنت تمتلك القدرة الإبداعية على الرسم التشكيلي، أو كتابة الروايات والقصص مثلا، وجمعك بينهما قد يكون نوعًا من الانتحار، وخوفك على الإقدام

وفقدان عملك، وسخرية الآخرين من حماقتك ومغامراتك الفاشلة، يبقيك في الظل ولن تحقق شيئا لا في الطب ولا في الرواية.

٦-العمل الحر

الوظيفة تغنيك من الفقر وتمنعك من الغنى، هذه المقولة من أصدق المقولات التي مرت، وكم كنت أتمنى أن استمع إليها في وقت مبكر من حياتي، وليس المقصود بالعمل الحر هنا أن تستغني عن وظيفتك وتبدأ حياتك كتاجر أو رائد أعمال الآن، ولكن أن تستكشف العالم من حولك، وأن تجيد صنعة أو مهنة، أو هواية، تتكسب منها دخلا ولو إضافيـًا، لتكون بمثابة نافذتك على عالم الأعمال، دون أن تغادر الوظيفة وتخسر أمان دخلك الثابت، حتى يحين الوقت للاكتفاء من العمل الحر واتخاذ القرار، فثق دائما أن الوظيفة مهما علت لا تصنع ثروة، وأن تسعة أعشار الربح في التجارة، وأن التجارة مكسب وخسارة، ولا ربح دائم، والخاسر هو من يركن إلى الأمان الوظيفي.

وإضافة إلى ما سبق يتعين عليك مراعاة الأمور التالية:

- ابحث عن شغفك، لأن الشغف سيزيد من فرصك في الإبداع وبالتالي توسيع أبواب الرزق.

- ابحث عن القيمة في العمل الذي تؤديه، صحيح كلنا يحتاج المادة ويسعى لها لكنها ليست كل شيء، فالبحث عن المادة بحثًا مجرداً من أية أهداف أخرى سيحولك إلى مرتزق.

- انظر إلى نجاحات الأخير بعين الغبطة لا الحقد، واجعل نجاح الآخرين دافعًا لك لا وسيلة للإحباط واليأس.

- تعلم من صفات الناجحين الذين سبقوك إلى الثروة أو النجاح المادي، بغض النظر عن طبيعة عملهم.

- آمن بالوفرة لا الندرة ورحب بالتنافس الشريف.

وختامًا: كل ما علينا جميعًا هو فعل الأسباب، والمثابرة، والصبر، ويتوجب علينا في كل مراحل هذا الفعل، ومع كل نجاح أو فشل، التحلي بالقناعة والرضا، وهذا لا يتنافى مع الطموح والإصرار، فليكن شعارنا دائمًا وأبداً «لنفعل ما علينا ولنرضى بما كتبه الله لنا».

***

كن شغوفاً بعملك

الشغف هو مفتاح التطور المهني والارتقاء الوظيفي، كن شغوفـًا بما تعمل

ستحقق كل ما ترنو إليه، ويطلق الشغف على أقصى درجات الحب وأقواها.. فمن لديه شغف القراءة لن يتوقف عن مطاردة الكتب، ومن لديه شغف العمل لن يقنع سوى بالتطور الدائم.

***

لا تسمح لهاجس الخوف من الخطأ أن يثنيك عن:

- المبادرة إلى الإقدام على تجربة جديدة في عملك.
- مشاركة الآخرين رأيك.
- عرض اقتراحاتك في نقاشات العمل.

***

بدلاً من الهروب من المواقف التي تبدو صعبة ومعقدة في العمل

- اعمل على تنمية مهارة تفكيك الأمور المعقدة وتقليصها.
- قسم المهمة إلى عدة مستويات.

- ابدأ بالأسهل والمقدور عليه.
- اطلب المساعدة فيما لا تستطيع.
- قبل أن تطلب المساعدة ابحث واسأل واستشر، فربما يكون الأمر بسيطًا ومقدوراً عليه لكنه لم يواجهك من قبل.

***

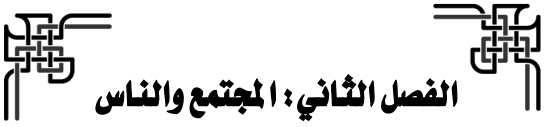
الفصل الثاني: المجتمع والناس

أنا عدّوك اللدود

تُبدي رأيًا من خلال أحد مواقع التواصل الاجتماعي -عبر صفحتك أنت لا صفحة غيرك-، تفاجئ بأحدهم وربما يكون أحد أقاربك أو أصدقائك أو زملائك الذين تكن لهم قدرا من الاحترام يوجه لك سبابًا أو هجومًا عنيفًا ويكيل لك الاتهامات المعلبة متناسيًا كل ما بينكما من احترام وتقدير ومودة أو «عيش وملح» كما يقال لا لشيء سوى أنه يختلف معك في رأيك أو رؤيتك أو ميولك الفكرية والسياسية، لا ينتهي الأمر عند هذا الحد عند بعضهم فيفترض أنك خصمًا وعدواً لدوداً يهدده ويجب استئصاله فيهرول دون أن ينتظر رداً منك أو نقاشًا أو توضيحًا لأيقونة الحذف أو الحظر من قائمة الأصدقاء، والمضحك المبكي أن موقفه ذلك قد يكون ناتجًا بالأساس عن سوء فهم منه.

هذه ليست حالة فردية عابرة بل باتت للأسف الشديد تشكل واقعًا ملحوظًا يمر به الكثير منا بشكل يومي كنتاج طبعي لما نعانيه من حالة استقطاب سياسي وصلت بنا إلى طريق مسدود، فأضحت لغة التصنيف والثنائيات المتضادة هي الثقافة السائدة في اللاوعي الجماعي، «إن لم تكن معي فأنت بالتأكيد ضدي»، و «إن لم تكن مع الموقف الفلاني أو الحزب أو الاتجاه الفلاني فأنت بالتأكيد مع المعسكر المضاد».

ثمة عوامل كثيرة متشابكة ومعقدة أفرزت هذا الوضع المأزوم بدأ من عقود الاستبداد السابقة التي رسخت أحادية الرأي والتفكير وغيبت حرية التعبير وثقافة التنوع ومروا بالخطاب الإعلامي المغرق في الابتذال والسطحية والتحريض والتضليل ومرورا بطريقة التربية بالأساس التي تتجاهل الحوار وانتهاء عند الخطاب الديني القائم على الشحن والتأجيج العاطفي وكذلك الخطاب السياسي القائم على إلغاء الآخر واتهامه بكل نقيصة دون محاولة الاقتراب من الآخر والاستماع إليه، حتى باتت تهمة العمالة تلقى بشكل تلقائي على المخالف دون تفكير من الطرف الآخر.

إننا في مواجهة هذه المعضلة يتعين علينا أولا أن نؤمن بحق الاختلاف وبحقيقة التنوع الفطرية التي أوجدها الله، وأن نيقن تمام اليقين الإقصاء والتهرب من مواجهة المخالف أو التعايش معه ليس حلا ناجعا سليما وأن غالبية ذلك يقع في دائرة ما يسوغ فيه الخلاف، ولأننا ببساطة إذا انتهجنا هذا الأسلوب السلبي فلن نجد لنا وليفا مع مرور الوقت سوى أنفسنا، فلا الأفهام يمكن أن تتطابق ولا نحن كبشر أسوياء يمكن أن نعيش بمعزل عمن نختلف مهم.

وعندما نؤمن بالتنوع والخلاف فيتعين علينا أيضا أن نسعى لإجادة فن الحوار الراقي ومن آداب الحوار تجنب الجدل المذموم فبرأيي أنه من قلة العقل أن يدخل الإنسان في جدال مع شخص «دوغمائي» منغلق

التفكير لأن الخصومة في النهاية ستتحول لهجوم شخصي لا نقاش في الأفكار، كونه لا يمتلك أساسًا الحجة ويعتبر تفكيك لفكرته هجوما شخصيًا عليه.

***

صناعة التأثير

قد يبدو العنوان غير مألوف، لكن بنظرة بسيطة إلى واقعنا الجديد المتمثل في الإعلام الجديد وقنواته المختلفة، نجد أن التأثير بات سلعة يتم بيعها، وشراؤها، والاستثمار فيها ماديًا وبشريًا، بشكل مؤسسي، وحتى فردي، للحد الذي يمكننا أن نستعيض عن العنوان السابق بعنوان آخر وهو «تجارة التأثير» أو «بيزنس التأثير».

والحاجة إلى المؤثرين والتأثير باقية ببقاء الدول والأحزاب وأصحاب المصالح، ومؤسسات صناعة القرار، حتى إن الكثير من دول العالم تتعاقد مع شركات العلاقات العامة لمحاولة تمرير وجهة نظر الدولة في العديد من الملفات الشائكة، إلا أنه بات اليوم هناك لاعبون جدد في ساحة التأثير متمثلون في المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي والذين وجدوا أنفسهم في تجارة مربحة هم رأس المال فيها، حيث يجنون المال لتمرير رسائل معينة مستغلين ثقة الجمهور فيهم والسمعة التي حصلوا عليها، وعلى الرغم من حالة السيولة الكبيرة في هذا المجال إلا أنه لا يزال هناك متسعًا كبيراً لقبول المؤثرون الجدد.

ربما كانت صناعة التأثير أو المؤثر في وقت مضى عملاً شاقًا يحتاج إلى مؤسسات حكومية، وأجهزة أمنية، وتنظيمات سرية، وشركات علاقات عامة كبرى، لكن الأمر اليوم بات أقل تعقيداً وأسهل سبيلاً، حتى أصبح كل منا مؤثراً محتملاً.

فلم يعد المؤثر بالضرورة أن يكون ذاك الشخص صاحب الشخصية الكاريزمية، أو الخطيب المفوه الذي يسحر ألباب سامعيه، ولا المثقف الأديب صاحب القلم الرشيق، ولا الإعلامي ذائع السيط، ولا السياسي المحنك صاحب الدهاء، فالمؤثر في وسائل التواصل الحديثة ربما لم يلتقي الجماهير يومًا على الحقيقة، وقد لا يكون خطيبًا مفوها وربما لم يسمعوا له عبارة واحدة، وقد لا يكون بذاك القدر العالي من الثقافة والعمق النخبوي، ولكن بالتأكيد هو يمتلك شيئا فما هو؟

يؤمن المؤثر بقدرته على التأثير فمن لا يملك هذه القناعة بداخله لن يستطيع أن يبرح مكانه.

كما يدرك المؤثر دون غيره أن التأثير لا يحتاج لمال بالضرورة، ولا يرتبط بالقدر الكبير من الشهادات الأكاديمية، أو الوسامة، أو الخبرة الكبيرة، أو حتى حماس الشباب، أو المناصب الرفيعة والوجاهة.

المؤثر باختصار صاحب حلم دائم، وعمل دؤوب لهدف محدد، يحلم ويعمل بالتوازي، ينجح ويطمح للأعلى، يثق في نفسه ويعدها دائمـًا لانتهاز الفرص.

إذا أردت أنت تكون مؤثرًا

احلم

آمن بحلمك

اعمل

لا تتوقف

تحفّز لانتهاز الفرص فالفرصة قد لا تأتي إلا مرة واحدة!

***

مش هنفرح بيك

مش هنفرح بيك.. عبارةٌ اعتاد الناس في مجتمعاتنا توجيهها في مناسبات الزواج والخطبة إلى العازبين ذكورا وإناثًا، كنوع من أنواع المجاملة، أو رغبة في مشاركتهم الأمنيات الجميلة، أو هذا ما وجدنا عليه آباءنا على أقل تقدير.

إلى هذا الحد تبدو هذه الجملة اعتيادية من نوع المجاملات الكلاسيكية التي لا ترتقي لأكثر من أحرف على الشفاه، أو كمزحة مقبولة، أو حتى أمنية جميلة من شخص يهمه أمرك.

لكن المثير في الموضوع أن تتحول هذه الجملة إلى شبح يلاحقك بمناسبة وبدون مناسبة لاسيما مع تقدمك السن وثباتك على وضعك الاجتماعي (عازب) فتتحول من مجاملة رقيقة عابثة إلى تنمر ممنهج.

فشابٌ عازب في الرابعة والثلاثين من عمره يبدو في نظر من حوله لا ينقصه شيء سوى أن يحمل لقب متزوج، ولذا عليه أن يواجه سيلاً من الأسئلة المتكررة أو قل الشائعة إن جازت تسميتها، والتي لا يمل أصحابها من طرحها في كل مرة يقابلونه فيها بنفس الحماس، سواء تلقوا إجابة مقتضبة أم قوبلوا بابتسامة أو مزحة.

وتتراوح هذه الأسئلة ما بين الاستغراب من تأخره في الزواج إلى هذا الحد! وهل بدء حقـًا رحلة البحث عن زوجة؟ وهل الوالدة لم تقم بدورها في مساعدته على اختيار الزوجة؟ وألم يشتاق لرؤية أبناءه؟ وألا يريد إدخال السعادة لقلب والديه قبل أن يفارقا الدنيا ولم يروا أبناءه؟! يتحول هذا الترغيب أحيانا إلى تحذير من ندم مستقبلي سيواجهه؟ وتأخذ هذه الحالة منحنى آخر عندما إلى تلميحات عن الضعف الجنسي وتطور العلم في علاجه!، في حين يعتقد الأكثر إحسانا بالظن من هؤلاء أن لك العديد من العلاقات هي بكل تأكيد سبب عزوفك عن الزواج، وأمور أخرى تغلفها الدعابة، ولسنا معنيين بنوايا أصحابها.

وأمام هذا السيل من الاهتمام غير المفهوم تكون أحيانـًا مضطراً إلى مجاراة سائلك بأنك تنتظر ابنة الحلال ولعل ذلك يكون قريبـًا، من أجل تغيير الموضوع على الأقل، وهنا تكتشف أنك ارتكبت حماقة كبيرة، إذ يتحول هذا القريب أو الزميل فجأة إلى تقمص دور أم محمد الخاطبة عندما يعود لك في اليوم التالي وهو منفرج الأسارير يخبرك أنه كلم المدام عن حالتك وقد تأثرت لذلك كثيراً وحز في خاطرها ذلك أن تراك وحيدا بلا زوجة، ومن معزته لك قررت أن تبحث لك عن عروس تليق بك، لا يسعفك الوقت لتشكره على تعبه واهتمامه إلا وقد تجد نفسك

فعليا في ورطة، فالقصة باتت حقيقية وصورة العروس متوفرة لديه وموعد اللقاء رهن إشارتك.

إزاء هذه الورطة يتعين عليك إتباع تكتيك جديد وهو أن تعلن بكل وضوح أنك غير مقتنع بفكرة الزواج من الأساس على الأقل حتى هذه اللحظة من عمرك، وهو أكثر سيناريو ستندم عليه في الواقع إذ سيتحول زميلك أو قريبك فجأة من أم محمد الخاطبة إلى شخصٍ آخر قد أحمرت عيناه واقتربت من إطلاق شرار حارق ليقول لك بلهجة حازمة يقول ﷺ «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له.. وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وهنا يبقى السؤال هل هذا النوع من التنمر المجتمعي أو التطفل الإجتماعي إن جاز التعبير يمكن أن يؤثر فعلياً في حياة بعضنا ويوجهه حتى يتجنب هذا الحرج الاجتماعي، وهل من الصحي أن تبنى أسر وبيوت لمجرد ضغوطات عائلية أو رغبات مجتمعية؟ وهل من المفترض أن يكون المجتمع نسخاً متكررة من بعضها البعض حتى في القرارات والتفاصيل الصغيرة؟ ربما حالات الفشل التي تحيط بنا تجيب عن بعض من هذه التساؤلات؟!

***

لا تذكروا محاسن موتاكم

قضية التعامل مع وفاة المخالفين أو الخصوم سواء في السياسة أو الفكر من القضايا الشائكة ذات الحساسية المفرطة، إذ يفصل فيها بين الإنسانية وانعدامها وبين العقل والعاطفة، وبين المبدأ واللامبدأ، خيط رفيع!

ربما يكون الإرث التراثي الذي نحمله في ذاكرتنا الجمعية عاملاً مساهمـًا في هذا الالتباس وهو حديث (اذكروا محاسن موتاكم، وكفُّوا عن مساويهم)، على الرغم من أنه من الأحاديث الضعيفة من حيث السند إذ لا تثبت صحته وبالتالي لا يعتد به كمقولة ذات قدسية، وإن كان يحمل بعداً آخر أخلاقي من جهة، ومن جهة أخرى يكون مرد الاستشهاد بهذه المقولة والعمل بها مربوط بالجانب الشخصي للمتوفي، إذ ليس من المروءة الخوض في أعراض الأحياء فضلا عن المتوفين، كما أن الشماتة في الميت أو التشفي في الوفاة ليست من أخلاق النبلاء إذ الموت كأس وكل الناس شاربه!

لكن الإشكالية تزداد تعقيداً في حالة كان هذا المتوفى شخصية عامة، ذات فكر أو أيدولوجيا مغايرة، وكان التماهي في التعاطف معه، أو

السكوت وقت موته، بمثابة صك غفران عن مساوئ فكره الذي لن تتوقف تبعاته بموته، أو ربما قد يستغل أتباعه حالة التعاطف لتمرير أجندة ما، فيلجأ البعض إلى إثبات موقف، عوضا عن التعزية أو الصمت، قد يخرج في أحيان كثيرة من نطاق الإنسانية، ربما ليس رغبة في التشفي وإنما خشية من طغيان عواطف الناس على صوت العقل والضمير، فما الحل إذن؟

من خلال النظر في مثل هذه الوقائع وملابساتها على مدار العقود القليلة الماضية يمكننا أن نخرج بأمرين:

الأول: غلبة العاطفة على كثير من الناس خصوصا إذا كانت الموتة بشعة، أو كانت ملابسات الوفاة تحمل في طياتها شيئا يدفع للتعاطف، حتى وإن كان المتوفي أو المقتول طيلة حياته مجرما، أو إرهابيا، أو ديكتاتورا، ولذا فإن أي محاولة لإثبات الموقف الفكري قد تؤدي لنتائج عكسية.

الثاني: أن هذه العاطفة مؤقتة ولحظية والتعامل الأمثل يكون بالابتعاد عن الجدل البيزنطي، أو إثبات الموقف الصدامي إلى ما بعد مرور العاصفة.

وعليه، فكما يقال فإن لكل حادثة حديث، ولكل مقام مقال، ويظل التاريخ هو الشاهد الأول والأخير، فعاطفة الموت لن تحجب الحقائق

بغربال، إذا ما أحسن التعامل مع ردود الفعل العاطفية الآنية من الجماهير، التي عادة ما تتلاشى وتستقر في ذاكرة السمكة سريعـًا، والشواهد حولنا كثيرة فكم رأينا حولنا ممن يحملون فكراً متطرفـًا أو شاذاً أو إجراميـًا بالرغم من التعاطف معهم عند موتهم، لم يبقى لهم اليوم إلا أفكارهم وأفعالهم كشاهد عليهم تطاردهم بالعار والشنار ليل نهار، وإذا علمنا هذه الحقائق فأعتقد أننا لسنا لحاجة لانتهاك حرمة الموت لإثبات موقف ما.

***

حين يعلو الصمت

يتجه الكثير من الباحثين والمراقبين لقياس اتجاهات الرأي العام في أي من البلدان إلى أعمدة الرأي في الصحف وبرامج «التوك شو» في الفضائيات، وربما إلى الأعمال الإبداعية، وهو ما قد يواجه انتقادات باعتباره مقياساً غير دقيق لاحتمالات التسييس والتوجيه الاستخباراتي وأحادية الرؤية أو ذاتيتها، فيما يعتمد فريق آخر على قنوات الإعلام الجديد، والإعلام الاجتماعي، «سوشيال ميديا»، كانعكاس لنبض الواقع، وهي، أيضاً، مهما اتّسعت رقعتها تظلّ نخبوية.

في المقابل، يرى آخرون أن الشارع والمقهى ووسائل النقل الجماعي والتجمعات الشعبية هي الترمومتر، أو المقياس الأكثر دقة وواقعية. ويبقى مصطلح الرأي العام، في حد ذاته، فضفاضاً ونسبياً، فلا رأي عام واحداً أو دائماً، وهناك ما قد يصدر بشكل عفوي أو مؤقت، فما يمكن أن يطلق عليه رأياً عاماً نتيجة اتفاق وجهات النظر وتقارب الشعور السائد إزاء موقف أو مشكلة من المشكلات في منطقة أو طبقة أو جماعة معينة، لا يمكن اعتباره كذلك في منطقة أو طبقة أو جماعة أخرى من المجتمع نفسه.

وإذا كان الرأي العام يتم بالتعبير العلني والصريح الذي يعكس وجهة نظر أغلبية الجماعة تجاه قضية معينة في وقت معين، فإن الصمت والتجاهل والسلبية تشكل رأياً عاماً في حالاتٍ كثيرة، وهو ما يفقد وسائل الإعلام دقتها في التعبير عن الرأي العام، إذ ليس بالضرورة ما يبرزه الإعلام ويسلّط الضوء عليه هو ما يعكس وجهات النظر السائدة.

هذه المقدمة تبدو ضرورية لمَن يحاول التقاط الصورة من منبعها، مع التأكيد على أنه لا يمكن الحكم على عينةٍ من المواقف مهما اتسعت، أو تم تعميمها، لكنها تعطي مؤشراً لنبض الشارع، وتحمل دلالاتٍ مع مقارنة المواقف بين الوضع القائم في مصر والفترة التي أعقبت ثورة يناير إبان حكم المجلس العسكري، إذ كان الجميع يخوض في السياسة بنهم، وبلا تحفظ أو مواربة.

الصمت أو التحفّظ أو التجاهل ليست مؤشرات إيجابية، بل ربما تكون لها انعكاساتها الخطيرة مستقبلاً، فـ«دوامة الصمت»، تمثّل إحدى نظريات التأثير طويل المدى على المجتمع وثقافة أفراده، بحسب الباحثة الألمانية نيوهان نويل، التي قدمت نظريتها في كتاب أصدرته عام ١٩٨٠ بعنوان: «دوامة الصمت: الرأي العام باعتباره جلدنا الاجتماعي».

***

الفصل الثالث: الفكر والسياسة

تجنب غلطتي

«علمتني الأيام والتجارب التي مرت بي أنه يجب على المرء إلا إذا كان ذا مواهب خارقة ألا يخوض في معترك السياسة العملية قبل بلوغ الثلاثين وحتى هذه السن يكون قد جهز نفسه بالعدة اللازمة للانطلاق وغربة القضايا والمبادئ والنظريات قبل أن يتخذ منها موقفًا معينًا، ومتى تم له تكوين رأي شخصي في كل من القضايا التي تشغل الرأي العام يمكن أن ينزل إلى المعترك السياسي مسلحًا بالمعرفة والاختبار أما إذا لم يفعل وعجل بالنزول إلى المعترك فإنه واجد نفسه بعد حين مضطراً إما إلى تعديل الموقف الذي كان قد اتخذه في بعض من المسائل الجوهرية أو إلى الاستمرارية في هذا الموقف مع اقتناعه بأنه موقف غير سليم ففي الحالة الأولى يكون عليه أن يدفع ثمن تسرعه ثم تذبذبه خسارة فريق من أنصاره الذين يقفون حيارى حيال هذا التحول ولا يجدون له تعليلاً مقبولاً»

هذا ما قاله أودلف هتلر في كتابه كفاحي قبل نحو قرن، واحتجت إلى قرابة ٣٥ عامًا لأدركه بنفسي، وقد أضعت زهرة شبابي في خوض معترك لا ناقة لي فيه ولا جمل، وكان ذلك الاهتمام المفاجئ بالسياسة التي طالما بغضتها، حصيلة ما يعرف بالربيع العربي.

وعندما اشتعلت جذوة الأحداث في تونس ثم في مصر وبلدان أخرى كنت في الخامسة والعشرين من عمري، فاندفعت بكل ما أوتيت من قوة وحماس الشباب إلى الانغماس في التعاطي مع السياسة، وألاعيبها على النحو الذي أثر بشكل مباشر أو غير مباشر على تحصيلي العلمي والثقافي، واهتماماتي الأخرى، ومضت السنون، والأحداث السياسية المتوالية، تلعب لعبتها، وتعبث بآمالي وتوقعاتي ومطامحي، حتى فقدت الشغف تدريجيًا، واستفقت لأجد نفسي على مقربة من مغادرة مرحلة الشباب والعنفوان، وقد دخلت زقاقًا غير نافذ، لا ناقة لي فيه ولا جمل، وكان بإمكاني في هذه السنوات التي قاربت على عقد من الزمان أن أزداد نضجًا من خلال المراقبة لا الانغماس، وأنجز الكثير والكثير من مشاريعي العلمية، التي طالما حلمت بها، ولطالما نسيتها وتجاهلتها في غمرة ملاحقة سراب السياسية، وتحت ركام الإحباط السياسي.

وهذه ليست دعوة لمزيد من الإحباط وعدم الاستسلام، وإنما نصيحة لابد منها، لمن غرق في وحل السياسة وأغرقته ألاعيبها وأشغلته عما هو أدعى له وأنفع، ولمن أحبطه المسير والتخبط في جدران الزقاق المغلق، ولم يظن أن هناك طريقًا للعودة، وتصحيح المسار.

***

حوائط التراث

جرب أن تفتح موضوع الطلاق مع أي شخص تعرفه أولا تعرفه، وقبل أن يسألك عن الأسباب والمسببات سيبادرك بالقول (أبغض الحلال عند الله الطلاق).

ربما يقودك حوارك مع محدثك لمخالفته الرأي فيستشهد بقول لأحد المشايخ أو الدعاة الذين يثق بهم، وقبل أن تفتح فمك بالمعارضة سيباغتك بالقول (لحوم العلماء مسمومة).

إن حالفك الحظ في مجالسة أحد مؤيدي حكم الجنرالات فاحتفظ بآرائك لنفسك حتى لا تصطدم بـ (خير أجناد الأرض)، أما إذا أصررت على النقاش فقد تكون في مجابهة ذلك بحاجة للاستشهاد بحديث (كما تكونوا يولي عليكم).

وإذا كنت عازفًا عن الزواج، أو زاهدًا في الإنجاب فاحذر أن تبوح بهذا السر الخطير لأحد (تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة).

إزاء ذلك ربما لن يكون بيدك حيلة غير الاستجابة للزواج من أجل أن يباهي بك الرسول الأمم، ولكن يلزمك قبل ذلك طلب المشورة (ما

خاب من استخار، ولا ندم من استشار)، وبالطبع لا تنسى أن (خير الأسماء ما عبِّد وما حمِّد).

ما سبق عينة يسيرة لصخور يتحطم عندها النقاش، وتكبت بسببها الآراء، وفي الحقيقة ما هي إلا حوائط صد خادعة، فجميع الأحاديث الواردة أعلاه ليست صحيحة، وبالتالي لم تثبت عن النبي ﷺ، ولا يحتج بها، وتتراوح ما بين الضعيف والضعيف جداً، وبعضها ليس حديثا بالأساس كمقولة (لحوم العلماء مسمومة).

هذا الموروث بات أحد المسلمات ذات القدسية التي لا يمكن القفز عليها، ولو لم يقتنع بها عقلك، حتى لا تصبح موصوما بالزندقة أو متهماً بالإلحاد في نظر المجتمع.

والناتج عن ذلك أننا بتنا نعيش فيما يشبه الحلقة المفرغة، فمع أول أو ثاني اصطدام لنا بهذا الحائط التراثي يتعين علينا لا شعورياً أن ننقل أثر تلك الصدمة لمن بعدنا فيتوقف هو الآخر عن إعمال عقله برأي مغاير، ليدور معنا في نفس الدائرة وهلم جرا.

ما دعاني إلى مراجعة الكثير من المقولات الدارجة في حياتنا اليومية، كأحاديث نبوية قطعية الدلالة؛ حديث (أبغض الحلال عند الله الطلاق)، فمن الناحية العقلية اصطدم معي هذا النص بإشكاليتين الأولى هي كيف يكون حلالاً ويبغضه الله؟ والثانية أن الطلاق ربما يكون واجباً وفرضاً

في حد ذاته في بعض الأحيان إذ «لا ضرر ولا ضرار»، فهل يعقل أن نفرض على اثنين استحالت عشرتهما أن يعيشا تحت سقف واحد بهذه الحجة!

في الواقع لا أحد يفكر في أن يتعنى ولو قليلاً، ليتثبت مما قد توارثه شفهياً ممن سبقه، وقد يكون ذلك مقبولاً في عصر غير عصرنا لصعوبة ذلك لغير المختص، أما اليوم ونحن نعيش في عصر الشيخ Google كما يحلو للبعض تسميته فما الذي يعيقنا عن أن نكسر حاجز التلقين ولو على سبيل الفضول، لنتثبت من بعض ما قد يثير تساؤلاتنا.

***

أنا السجين!!

يفصلنا عن الحرية ألف باب وباب في سجون بعضها فوق بعض!!

***

تحررك من طغيان لا يعني تخلصك من فساد عشش واستشرى في كل شيء حولك!!

***

وفرضك الأمر الواقع على محيطك لن يجعلك بمعزل عن الاستقطاب ومعاركه الخاسرة مهما طالت!!

***

استقوائك بفكر تحمله أو مجتمع يحتضنك لن يجعلك في مأمن من هيمنة القوى العالمية على محيطك الخارجي!!

***

لا أبالغ عندما أقول إننا أسرى الماضي، وسجناء الحاضر مختطفو المستقبل.

***

ولست أجد أبلغ مما قاله نزار قباني:

مُعتَقَلُونَ..

داخلَ النصّ الذي يكتُبُهُ حُكَّامُنَا

مُعتَقَلُونَ..

داخلَ الدِّين كما فَسَّره إمامُنا

مُعتَقَلُونَ..

داخلَ الحُزْن، وأحلى ما بنا أحزانُنَا

مُراقَبون نحنُ في المقهى.. وفي البيتِ..

وفي أرْحَامِ أمَّهاتِنا..

حيثُ تلفَّتْنَا، وجدنا المخبرَ السِريَّ في انتظارِنا

***

هذه ليست دعوة لليأس أو التشاؤم، أو لا سمح الله (الاستسلام)!!

***

هوس التصنيف

مللت الحديث عن «هوس التصنيف»، بالقدر الذي يشعرني برغبة ملحة في الغثيان عندما يوجه إليّ اتهاما بالانتماء إلى فصيل معين على خلفية إبداء أي رأي.

سابقـًا كنت أضيع وقتا طويلا في الجدل من أجل إيضاح وجهة نظري لكنني اكتشفت أنني كمن يحفر على الماء، فقررت توفير مجهودي، والاكتفاء بنظرة مليئة بالأسى تصاحبها ابتسامة لا أدري هل هي شفقة أم مرار.

اختزال الصراع أو قل الخلاف في ثنائية يتم على أساسها ترتيب الحسابات والاصطفاف في طوابير الاستقطاب ينمي عن سطحية منقطعة النظير أو بمعنى أدق أزمة عميقة في الذهنية التي نعيش فيها.

لابد من الاعتراف بأن هوس التصنيف من أكبر الأدواء التي تحجب الرؤية، عن الهدف المشترك والعدو المشترك، والمؤسف أننا ما زلنا في طور الحديث عن أمور بديهية جدا.

خلاصة القول: أننا إذا أردنا أن نقف على الأسباب المؤثرة في انزلاق المجتمع إلى مزلق الفرقة والانقسام والتصفية والإقصاء، أن نؤمن أولا

بمعضلة «هوس التصنيف» ونشخص أعراضه من أجل تجفيف منابعه والحد من انتشاره الذي ينخر في جسد الفرد والمجتمع.

***

متى يتوقف الإرهاب؟

سيتصدر المسلمون قوائم الإرهاب مادام الاستبداد هو الحاكم ومادام العدل مغيباً ومادام الضعف الخارجي مهيمناً.

***

الإرهاب في غالبه صنيعة وصناعة القهر، إنه باختصار بضاعة اليأس وضعف الحيلة والتهميش والاستضعاف..

كل الأسباب الأخرى ماهي إلا بمثابة البردعة للحمار!

***

لا أنكر وجود جماعات ريديكالية..

ولكن الكثير مما يطرح هنا وهناك وما يساق من تنظيرات لتبرير القتل أو العنف أو شرعنته، ما هو إلا مجرد غطاء فكري يخفي خلفه دوافع إجرامية وانتقامية!

***

هل أنت إرهابي محتمل؟ ربما

كل متطرف، إرهابي محتمل.

وكل إرهابي، متطرف بلغ حد الذروة في تطرفه.

***

ولذا يمكننا القول باختصار أن «التطرف هو بوابة العبور للإرهاب»

***

وكما أن الإرهاب لا دين له، فكذلك التطرف.

***

الجنوح نحو التطرف والإرهاب منشأه في الأساس خلل نفسي يصيب الإنسان، يغذيه أحيانا الفهم الخاطئ للدين، أو القراءة المغلوطة للتاريخ، أو اليأس وروح الانتقام، ولكن فكرة التطرف في حد ذاتها تتملك من عقل صاحبها أولا ثم يبحث تاليًا عن تغذيتها بالأدلة والبراهين والتأويلات، وليس أدل على ذلك من أن نفس الكتب المقدسة والأدلة يعتمد عليها المتطرف والوسطي فكل يقرأها بمنظوره!

***

للتطرف مؤشرات كثيرات قد تجتمع أو تفترق أو يجتمع بعضها، وبعضها خطير وبعضها أقل خطورة، وبعض التطرف يجنح للعنف وبعضه يكون كامنًا، ومن أبرز هذه المؤشرات التي يمكن أن يتساوى فيها جميع أصحاب الأديان والملل والعقائد المختلفة:

١- الجنوح نحو المشقة في العبادات، والمبالغة في الالتزام بالمستحبات، والتشدد في بعض المباحات.

٢- مصادرة الرأي الآخر، والتعصب للرأي بشكل مبالغ فيه.

٣- عدم تقبل انتقادات الآخرين وآرائهم، ونقاشاتهم، ومقابلها برد عنيف.

٤- الانغماس في المظاهر الدينية، والتعامل مع الآخرين وفق المظهر الديني.

الإنكار على الآخرين المخالفين بقسوة، وجرأة.

٥- الاغترار بالنفس واحتقار الآخرين مهما بلغ علمهم أو مكانتهم.

٦- التشاؤم أو اليأس من الواقع الاجتماعي.

٧- التعلق بالماضي والنقمة على الحاضر والمستقبل.

٨- التركيز على السلبيات دائمًا.

٩- سوء الظن بالآخرين.

١٠- عدم إظهار التسامح مطلقاً.

١١- تقديم سوء الظن في التعامل مع الآخر.

١٢- العدوانية تجاه الآخرين، من أقل المواقف.

***

لن تعود!

المناداة بعودة الخلافة الإسلامية من العوامل الرئيسية لظهور جماعات الإسلام السياسي، وعلى الرغم من مضي ما يقرب من ٩٠ عاما على تاريخ إلغاء الخلافة العثمانية لم يقدم الإسلاميون آليات واضحة لاستعادتها ولا لشكل الدولة في ظل المتغيرات التي تناسب مع عصرنا وواقعنا وتتلاءم مع النظام العالمي الجديد.

بقيت الخلافة حلما تهفو إليه القلوب وتتحرك إليه العواطف لرمزيتها لدى المسلمين وتواجدهم كقوة عظمى واتحادهم واستقلالية قراراتهم وعدم تبعيتهم في ظل وجودها، لكن المتأمل في مواقف منظري وقادة الإسلام السياسي يلحظ ضبابية الرؤية وغياب المشروع والاكتفاء بالعبارات العريضة والشعارات الملتهبة.

ويمكننا القول إن هناك خطين عريضين لتبني مطلب الخلافة الأول يتصف بالجمود وعدم التطور على الرغم من وجود مشروع مكتوب منذ بدايات التأسيس لحزب التحرير الإسلامي منذ تأسيسه عام ١٩٥٣م وضعه المؤسس القاضي الفلسطيني تقي الدين النبهاني (١٩١٤ – ١٩٧٧م) تحت مسمى دستور دولة الخلافة، والاتجاه الثاني تمثله

جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها في الإسماعيلية بمصر سنة ١٩٢٨م حسن البنا (١٤ أكتوبر ١٩٠٦ - ١٢ فبراير ١٩٤٩م) بعد أربعة سنوات من انهيار الخلافة العثمانية، حيث تعاملت الجماعة مع الأمر الواقع مع بقاء الغاية فانخرطت في العمل السياسي والبرلماني وقبلت بالديمقراطية ولو كآلية مرحلية.

وظهر في العقود الأخيرة خط ثالث تمثله جماعات السلفية الجهادية بدءًا بالقاعدة ووصولا إلى داعش وهو الاتجاه الأكثر عنفـًا وعشوائية، وربما تكون انتصاراته مدوية لحين إلا أنها متلاشية في النهاية لصعوبة الركون إلى الحل من أعلى الهرم باستخدام العنف وحده مقارنة بالنموذج الإخواني.

حزب التحرير.. الخلافة مطلبٌ لاستئناف الحياة الإسلامية

يقوم الحزب على فكرة أساسية غير قابلة للمناقشة أو الحلول الوسط وهي ضرورة عودة الخلافة الإسلامية أولاً إذ يرى أن استئناف الحياة الإسلامية، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم لن يكون إلا في ظل دولة إسلامية، هي دولة الخلافة، والتي ينصب المسلمون فيها خليفة يبايعونه على السمع والطاعة على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وعلى أن يحمل الإسلام رسالة إلى العالم بالدعوة والجهاد.

اعتمد الحزب على التنظير فقط في سبيل تحقيق حلم الخلافة المنشود فهو يرفض رفضا قاطعا ما يسميه الأعمال المادية فيرفض فكرة الثورات واللجوء للعنف والأعمال والمسلحة، وتعتمد أبجديات الحزب على فكرة الصراع الفكري مع أفكار الكفر وأنظمته، فيحرم الحزب الديمقراطية والرأسمالية تحريماً تاماً وقاطعاً لا يترك مجالاً للاستفادة منها كنوع اضطراري أو مرحلي كتعامل التيار السلفي مع الديمقراطية في الوقت الحالي في مصر مثلاً، فأصدر كتاباً رسمياً بعنوان: «الديمقراطية نظام كفر، يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها».

ولعل من أبرز ما ميزه عن غيره من تيارات الإسلام السياسي هو وجود رؤية مكتوبة عن كيفية إدارة «الدولة الإسلامية» إذا ما استطاع إقامتها والسيطرة عليها، وإن كان يغلب عليها طابع المثالية والتنظير والجمود الفكري.

الإخوان.. الخلافة تبدأ من التنظيم الدولي

الخلافة هي الغاية للمشروع الإمبريالي الذي أسسه حسن البنا فهو يبدأ بعدة مراحل تنتهي بأستاذية العالم كما عبر عنها وهي: بناء الفرد المسلم، فالأسرة المسلمة، فالمجتمع المسلم، فالحكومة الإسلامية، فالدولة الإسلامية، فالخلافة الإسلامية، فأستاذية العالم. ويقول: « ... هذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه».

بل إن مطلب الخلافة أخذ عند البنا أخذ أولوية على مطلب الاستقلال الوطني إبان تلك الحقبة التي كانت فيها البلاد ترزح تحت الاحتلال الإنجليزي، وقد أعلن الشيخ البنا في العيد العاشر للجماعة أن الإخوان يعطون الأولوية لاسترداد الخلافة.

ويؤكد ذلك أيضا الباحث الوثيق الصلة بحركة الإخوان د. إسحاق موسى الحسيني «إن تحرير وادي النيل كله من النفوذ الأجنبي كان مطلبا يلي في الأهمية لدى الإخوان مطلب إقامة الحكومة الإسلامية»

البديل الذي ولم ولن يرى النور

في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي تزامنا مع وضع اللمسات النهائية لإعلان أول تنظيم دولي رسمي في تاريخ الجماعة في ٢٩ يوليو ١٩٨٢م حيث تم الكشف عن اللائحة التي عرفت بالنظام العام للإخوان المسلمين، كان الدكتور توفيق الشاوي (١٥ أكتوبر ١٩١٨ - ٨ أبريل ٢٠٠٩)

وهو مفكر وفقيه دستوري إخواني بارز يتحدث في العديد من مؤلفاته عن فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية وهو البحث الذي نال به الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا رسالة الدكتوراة الثانية في فرنسا عام ١٩٢٥م في معهد القانون المقارن بجامعة ليون أي بعد عام من حل

الخلافة العثمانية، ولم تتم ترجمته العربية إلا بعد نحو ثمانين عاما من تأليفه على يد الشاوي نفسه لاحقا.

وتتلخص فكرة السنهوري التي أعجب بها الدكتور الشاوي وتبناها وروج لها في غير موضع إلى إمكانية إقامة نظام الخلافة ولو كانت بصورة غير مكتملة وهو ما عبر عنه بنظرية الخلافة الناقصة، وبنى نظريته التي قدمها في رسالته على أن إقامة نظام الخلافة ولو كانت ناقصة هي ضرورة دينية ليست واجبة فقط بل هي ممكنة كذلك إذا أخذت صورة منظمة دولية بدل دولة كبرى موحدة، إذ لاحظ السنهوري أن هناك واقعاً جديداً لابد من أخذه في عين الاعتبار وهو انفصال الأقطار الإسلامية عن بعضها مما أدى إلى انشغال كل قطر منها بكفاحه الوطني ضد الغزو أو النفوذ الاستعماري، وتمكن بعضها من تكوين دولة وطنية في حدود القطر التي رسمتها له وفرضتها عليه القوى الأجنبية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وملاءمة لهذا الواقع الجديد من رجل قانون ومفكر وهو السنهوري حاول معالجة فكرة الخلافة لمن خلال آلية واقعية ولو بشكل مرحلي بتحويلها إلى منظمة دولية عالمية، مادامت الضرورات الواقعية تحول دون إقامة دولة موحدة عظمى كما كان الحال منذ فجر الإسلام.

هذا البديل المبكر الذي طرحه السنهوري بقي حبيس الأوراق بعيدًا عن البعث لدى حركات الإسلام السياسي إذ لم ينقل الكتاب إلى العربية إلى بعد نحو ستون عامًا من تأليفه على يد القيادي الإخواني توفيق

الشاوي الذي اعتبر الكتاب ملهمًا له ومجرد بداية لانطلاقة جديد في عالم الفكر والفقه وعالم السياسة والواقع.

خلاصة القول: إننا في عالمنا العربي دائما ما ننشغل بالشكل أو المظهر عن الجوهر، وتأخذنا نوستالجيا الحنين للماضي إلى عوالم مثالية تعيقنا عن التخطيط للمستقبل أو حتى عيش الحاضر كما ينبغي، لذا سنظل أسرى للماضي، مكبلين بقدسية صنعناها لمصطلحات ومسميات في غالبها مفرغة من معناها دون أن نعي حقيقة أنه لا مشاحة في الاصطلاح، لنستمر مدججين بنشوة كاذبة لانتصارات بائدة، ونجاحات غابرة حتى حين.

***

الفعل الحضاري.. والعقل المسلم

الفعل لوحده لا يمثل إنجازا، فنحن نقوم به يوميا، ولكن لم تقدمنا هذه الأفعال خطوة نحو مرادنا، فقضية النهوض حضاريا مرتبطة ارتباطا عضويا بمدى تجاوبنا مع شرط حيوي ألا و هو اقتران الفعل بتصور شامل للنهضة.

ويمكن القول بصراحة بأن القرآن كان فيما مضى هو الدافع الأول لاشتغال المسلمين بالعلوم العقلية من طبيعية ورياضية بشكل النقل والترجمة من اللغات الاخرى في البداية، ثم استقلوا في الاشتغال بها والابتكار في موضوعاتها والتفريغ في مسائلها والتحقيق في مباحثها الهامة.

فالحضارة الإغريقية التي لاحظت ظاهرة النظام في الحركة الفكرية للعقل البشري وطورت علوم الهندسة والمنطق والحساب والمنطق، وغيرها من العلوم العقلية، لم تستطع التحرر كليا من التصور السحري للطبيعة، فنرى العقل الإغريقي يفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية بردها إلى إرادات الآلهة المتنازعة، ونرى كبار الفلاسفة الإغريق، مثل أفلاطون، وأرسطو، يعتقدون أن الكواكب والنجوم أرواح عاقلة مهيمنة عل الوقائع الطبيعية والاجتماعية. وفي المقابل تمكنت الرسالة الخاتمة

من نقل الإنسان من عالم الكهانة والشعوذة إلى عالم البحث العلمي والمعرفي، عندما خلصته من التصور السحري للطبيعة وزودته بتصور علميَ لها، وثمة عشرات الآيات التي تبرهن ولا يسع المقام هنا لإيراد أمثلة لها.

وفي العصور الأخيرة افتقد الإنسان المسلم الشعور بالانتماء إلي أمة قدست طلب العلم وأعلت من شأنه بحيث صار طلبه فريضة دينية، وإلى جانب افتقاد المسلم لشعوره بالانتماء فقد عانى ولا يزال من تغييبه للبعد الحضاري في فعل عيشه، وساهم في ذلك عدة عوامل أبرزها تغييبه للعقل في فهم النصوص الدينية، واتكاءه على موروث من التأويلات والتفسيرات المجتزئة والأفهام ذات السياق التاريخي والمكاني لكنه أكسبها هالة القداسة وجعله وسيطا في فهمه ليس للنصوص فحسب وإنما في رسم الثوابت والأسس والأولويات، بالإضافة إلى تحجيم التعامل مع القرآن الكريم من خلال حصر الاستفادة منه في مجالات ضيقة ومحدودة فالبعض لا يعرف القرآن إلا من أجل تلاوته للحصول على الأجر، وغالبا ما يكرر ألفاظه وحروفه وكلامته دون محاولة إدراك مفاهيمه ومعانيه وتتضح هذه الظاهرة في شهر رمضان الكريم حيث يحرص الناس على ختم القرآن تلاوة ولم يلتفت أحد إلى محاولة المرور على سوره وآيته تدبرا وفهما، ومن الصور الأخرى النظر إلى القرآن على أنه صيدلية فحسب فإذا ألم به مرض أو ألم هرع إلى كتاب

الله يتلوه، فهناك آيات لعلاج المس وأخرى للعين وثالثة للسحر وهلما جرا، وفريق آخر لا يعرف القرآن إلا في حالات الوفاة وفي المآتم حتى أن البعض ربط بين الاستماع إلى القرآن وبين العزاء.

وهنا يطرح السؤال نفسه ما هي الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هداية القرآن وتحويله إلى فعل حضاري؟

لن يتحقق ذلك سوى بالعودة إلى مرحلة الاجتهاد وإعمال العقل لفهم النص وتطبيقه وفق القيود التي تفرضها بنية العقل، ومبادئ التفكير السليم، والزمان والمكان، وهي المرحلة التي ما قبل الشافعي حيث كتب كتابه الرسالة فحدد الاجتهاد بالقياس، ورفض الاستحسان، وجعل السنة مصدرًا تشريعًيا مكافئا للكتاب، ولم يجز نسخ الحديث بالقرآن.

ومع انتشار المنهجية النصوصية أقيل العقل، حتى أعلن ابن القيم الجوزية في منتصف القرن الثامن الهجري استغناء الفقيه عن كل نهج يتطلب إعمالا للعقل في النص فقال: «ونحن نقول قولاً ندين الله به ونحمد الله على توفيقنا له ونسأله الثبات عليه: إن الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قط، وإن فيها غنية وكفاية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك مشروط بفقهم يؤتيه الله عبده فيها، وقد قال تعالى (ففهمناها سليمان)..».

وللإجابة على السؤال السابق، ما هي الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هداية القرآن وتحويله إلى فعل حضاري؟ يتطلب ذلك:

١-تجاوز الإشكاليات التي تولدت عن التوظيف المجتزئ لطرائق الاستنباط.

٢-إظهار التكامل بين العقل والوحي، والتأكيد على عدم فهم نصوص الوحي وتعيين دلالاتها ثم تحويلها لواقع حي مؤثر في حياة الناس دون إعمال العقل في النص.

***

الفهرس

مقدمة..... ٥

الفصل الأول: هموم حياتية..... ٧

أسرار.. لن يخبرك بها أحد غيري!..... ٨

رعاية الذات..... ١٤

كيف تكون قويّ الشخصية؟..... ١٦

لغز السعادة..... ١٩

مفاتيح النجاح..... ٢١

القناعة والطموح ٢٣

لا تكن مرتزقة..... ٢٥

كيف تختار وظيفتك ومهنتك؟ ٢٧

حول الدخل الوفير والتقدير المالي..... ٣٣

كن شغوفًا بعملك..... ٣٩

الفصل الثاني: المجتمع والناس..... ٤١

أنا عدّوك اللدود..... ٤٢

صناعة التأثير..... ٤٥

مش هنفرح بيك..... ٤٨

لا تذكروا محاسن موتاكم..... ٥١

حين يعلو الصمت..... ٥٤

الفصل الثالث: الفكر والسياسة..... ٥٧

تجنب غلطتي..... ٥٨

حوائط التراث..... ٦٠

أنا السجين!!..... ٦٣

هوس التصنيف..... ٦٥

متى يتوقف الإرهاب؟..... ٦٧

هل أنت إرهابي محتمل؟ ربما..... ٦٨

لن تعود! ٧١

الفعل الحضاري.. والعقل المسلم ٧٧

الفهرس..... ٨١

***